Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The Role Of Islamic Education In Facing The Ethical Challenges In Muslim Societies

Jaafar Piro Ahmad

Doctoral student / Department of Religious Education / College of Islamic Sciences / Saladin University - Erbil

Mohamed Shaker Mohamed Salih

Asst. Prof./ College of Islamic Sciences / Saladin University - Erbil

Article information

Article history:
Received March 4, 2023
Reviewer March 19.2023
Accepted April 1, 2023
Available online December1 , 2023

Keywords:
Islamic education
Value threats
Muslim society
Social values
Muslim individual.

Correspondence:
Jaafar Piro Ahmad
jaafar.ahmed@su.edu.krd

Abstract

It seems that Muslim societies, at the present time, suffer from challenges facing their religious, social and family values system. In a way that makes those who are concerned with education, look for ways and mechanisms to protect their societies from retreat or values collapse. In this context, this study tries to highlight the role that Islamic education plays in confronting the threats besetting contemporary Muslim societies, from moral, educational, social and family problems and crises. Because, we believe that the Islamic education emanating from Islam, is the most powerful means that Muslims possess at the present time to protect their values that are in danger. And that they can use to raise individuals, educate and prepare them comprehensively in all aspects of life. This is because, it aims to build the human being in an integrated manner, in all aspects, in faith, theoretically, emotionally, mentally, socially and morally. The best conclusion of the study is that, the effective Islamic education is the strongest defense weapon Muslims have, to protect the individual and society from every value, moral and cultural threats that challenge them.

DOI: 10.33899/radab.2023.181017, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

دور التربية الإسلامية في مواجهة التحولات القيمية في المجتمعات المسلمة

جعفر بيرو أحمد*

محمد شاكر محمد صالح**

الملخص

* طالب دكتوراه / قسم التربية الدينية/ كلية العلوم الاسلامية / جامعة صلاح الدين- اربيل
** استاذ مساعد / كلية العلوم الاسلامية/ جامعة صلاح الدين- أربيل

يبدو أن المجتمعات المسلمة في الوقت الحاضر، تعاني من تحديات تواجه منظومة قيمها الدينية والاجتماعية والأسرية على نحو مثير للقلق جعل المعنيين بتربية المجتمع يبحثون عن سبل وآليات لحماية مجتمعاتهم من التراجع أو الانهيار القيمي، وفي هذا السياق تحاول الدراسة الحالية إبراز الدور الذي تُؤديه التربية الإسلامية في مواجهة التهديدات التي احدودقت بالمجتمعات المسلمة المعاصرة لتصورنا بأن التربية الإسلامية هي الوسيلة الأقوى التي يمتلكها المسلمون في الوقت الحاضر لحماية قيمهم المعرضة للخطر، وباستطاعتهم أن يوظّفوها لتنشئة الأفراد وتوعيتهم وإعدادهم إعدادا شاملا من جميع مجالات الحياة. وذلك لكونها تهدف إلى بناء الانسان من جميع الوجوه إيمانياً وجسميا وعاطفيا وعقليا واجتماعيا وخلقيا، وخير ما توصلت إليه الدراسة هو أن التربية الإسلامية الفعالة أقوى ما يمتلكها المسلمون لحماية الفرد والمجتمع من كل خطر قيمي وأخلاقي وثقافي يهددهم.

الكلمات المفتاحية: التربية الاسلامية، التهديدات القيمية، المجتمع المسلم، القيم الاجتماعية، الفرد المسلم.

المقدمة

التربية الإسلامية ضرورية لتوجيه الأفراد وصياغتهم صياغة إيمانية وأخلاقية واجتماعية، ليكونوا لبنات صالحة في بناء المجتمع المنتج. ويعد الإسلام منهجاً ربانياً شاملاً أنزله الله لصياغة الشخصية المسلمة فردا ومجتمعا صياغة متزنة ليكون الانسان صالحا ومؤهلا للقيام بوظيفة الاستخلاف على الأرض ويحقق العدل في المجتمع الإنساني، ويستثمر جميع ما سخر له في خير البشرية.

يتضمن هذا البحث الدور الذي يمكن أن تقوم به التربية الإسلامية في حماية المجتمعات المسلمة من التهديدات والمخاطر القيمية والأخلاقية، لإيماننا بأن التربية الإسلامية هي الأمثل لمواجهة ما تجتاح المجتمعات المسلمة من المشاكل والأزمات الأخلاقية والتربوية والاجتماعية والاسرية، إثر تعرضها المستمر لتهديدات العولمة، ويرى الباحث أن التربية الاسلامية الشاملة، هي الأداة الأقوى التي يمتلكها المسلمون في الوقت الحاضر، وباستطاعتهم أن يوظّفوها لتنشئة الأفراد وتوعيتهم وإعدادهم إعدادا شاملا من جميع مجالات الحياة، لما للتربية من قدرة على حماية النسق القيمي للمجتمعات المسلمة المحفوف بالمخاطر والتهديدات الداخلية والخارجية .

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة هذه الدراسة في التطرّق إلى مواجهة التهديدات والمخاطر الناجمة عن التغيرات القيمية والأخلاقية غير المحمودة في صميم المجتمعات المسلمة جرّاء تعرّضها لمعركة تغيير القيم والمفاهيم من قبل حضارة الغرب الحالية، المعركة التي تهدف إلى تغيير ثوابت المجتمعات المسلمة الدينية والأخلاقية والاجتماعية والأسرية، وتحمل هذه تهديدا على النسيج القيمي والخلقي والاجتماعي لتلك المجتمعات، لأن المساس بقيم المجتمع الثابتة بالتشكيك أو الاتهام أو التغيير أو التغييب، سيكون له تأثيرات سلبية كبيرة وتداعيات خطيرة ربّما لا يدركها إلا المهتمون بقضايا التربية والتعليم والتثقيف العام والحضارة والاستراتيجيات الوطنية والاجتماعية.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أنها دراسة تقدّم آليات واستراتيجيات تربوية فعّالة على وفْق فلسفة ومنهج تربوي إسلامي، تساعد المجتمعات المسلمة على الخروج من أزمتها القيمية الراهنة التي تهدد الهوية الدينية والأخلاقية والثقافية للمجتمعات المسلمة المعاصرة.

سبب اختيار الموضوع: وقع اختيار الباحث على موضوع دور التربية الإسلامية في مواجهة التهديدات القيمية، لإيماننا بأن التحديات القيمية والأخلاقية التي تهدد المجتمعات المسلمة مخاطر حقيقية وأن القوة الوحيدة التي يمتلكها المسلمون في الوقت الحاضر هي قوة التربية، لذا من الضروري الاعتماد على التربية الإسلامية في مواجهة التهديدات القيمية والأخلاقية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز دور التربية الإسلامية في حماية الفرد والمجتمع المسلمين من المخاطر والتهديدات القيمية والأخلاقية التي تواجه المجتمعات المسلمة في الوقت الحاضر.

منهج الدراسة:

انتهج الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم الباحث أولا بتوصيف التربية الإسلامية مفهوما ومضمونا وفلسفة، ثم يعتمد على المنهج التحليلي لإبراز الدور الذي تؤديه التربية الإسلامية في مواجهة التهديدات القيمية التي تواجه المجتمعات المسلمة.

فرضية البحث:

يفترض هذا البحث إمكانية التربية الإسلامية الشاملة القيام بمواجهة مخاطر التحولات القيمية السلبية التي تطرأ على المجتمعات المسلمة في ظل ضغوطات العولمة الثقافية والفكرية. إذا تمّ توظيفها في تربية الفرد والمجتمع.

المطلب الأول

مفهوم التربية الاسلامية

لمعرفة حقيقة التربية الإسلامية، من الضروري العودة إلى التراث التربوي الإسلامي، لأن التربية الإسلامية بمعناها الاصطلاحي من المفاهيم الحديثة، فلو عدنا إلى المخزون المعرفي والحضاري الإسلامي القديم فلا نجد استعمالها لدى علماء الإسلام القدماء، مع أن دين الإسلام دين تربية الانسان وتزكيته، وأن النبي (ﷺ) هو خير معلم وأعظم مربٍّ ، قال الله تعالى في وصفه: {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ} (الجمعة، 2).

ولكن لا يعني هذا أن التربية لم تكن موجودة لدى المسلمين، فبجانب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمصدرين رئيسين لتربية الانسان وتنشئته في الجوانب كافة ، فالمسلمون لديهم تراث تربوي إسلامي ثري دوَّنه المربّون والعلماء المسلمون عبر التاريخ، فيما يختصُّ بالعلم والتعليم والتربية وما يتعلَّق بها من مبادئ أو ممارسات أو مؤسسات سواء كان هذا التدوين في كتاب متخصِّص، أو فيما ورد متفرّقاً من كتب الآداب والأخلاق [1].

وإن القصد من التراث التربوي الإسلامي في هذا السياق هو "ما كتبه العلماء والمفكّرون المسلمون عن موضوعات التربية والتعليم لتنمية أفراد الأمة صغاراً وكباراً لما يلزمهم في حياتهم الدينية والدنيوية في هذه الحياة ويقرّبهم من ثواب الله في الآخرة من مصنفات فقهية وكلامية وحديثية وتاريخية وأدبية وصوفية وفلسفية وغيرها، بعد عصر الرسالة، حتى القرن الثالث عشر الهجري"[2]. وطيلة هذه المدة "قد عرف علماء المسلمين وفلاسفتهم كثيرا من معاني مصطلح التربية مثل التأديب، والتهذيب، والتعليم، والتطهير"[3].

لذلك نستطيع القول بأن التراث الإسلامي يزخر بعبارات، وكلمات، ومصطلحات، تحمل معاني مصطلح التربية، بل تحمل أكثر مما يحمله مصطلح التربية المعاصرة، وقد حوت مؤلفات علماء الإسلام مفاهيم تربوية كثيرة على سبيل المثال: التعليم والتزكية والإصلاح التهذيب، والتأديب التطهير، ومن خلال هذه المفاهيم الإسلامية يمكن التعرف على جذور التربية الإسلامية وحقيقتها، لكونها تعبّر عن منهج الإسلام في تربية الانسان، ومن هذا المنهج (القران الكريم، السنة النبوية، التراث المعرفي الإسلامي) تستمد التربية الإسلامية المعاصرة مادتها ومنهجها لتربية الانسان وإعداده لحياة الدنيا والآخرة. وبخصوص تعريف التربية الإسلامية، فقد جاءت تعبيرات الباحثين والكتاب بشكل متنوع، ونحن أمام كمّ كبير من التعريفات الشائعة الواردة في الكتب والبحوث التربوية والتعليمية، ونقفز إلى أكثرها شيوعا وتداولا لدى الباحثين، وفيما يأتي نورد عددا منها:

أولا: التربية الإسلامية هي "علم إعداد الانسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة، إعدادا كاملا من الناحية الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإدارية والابداعية في جميع مراحل نموه، في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بيّنها"[4].

والمهم في هذا التعريف أنه وصف التربية الإسلامية بأنها علم وفي هذا تأكيد على أهمية مكانة التربية الإسلامية المعرفية ودليل على التطور الذي أحرزته التربية الإسلامية في المنحى الأكاديمي وبفضل الجهود المبذولة في سبيل تطوير

(1) فتحي حسن ملكاوي، الفكر التربوي الإسلامي، مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، فرجينيا، ط 1، 2020 م، ص 137-138.

(2) فتحي حسن ملكاوي، التراث التربوي الإسلامي، حالة البحث فيه، ولمحات من تطوره، وقطوف من نصوصه ومدارسه، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2018 م، ص 106.

(3)عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر الغامدي، مدخل إلى التربية الإسلامية، دار الخريجي، 1418 هـ، ص 7.

(4)مقداد يالجن، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، دار الكتب، 1411 هـ، ص 74.

الفكر التربوي الإسلامي أصبحت الآن النظرية التربوية الإسلامية نظرية تربوية متكاملة. وقد أجاد هذا التعريف أيضا في الربط بين تربية الانسان للحياة الدنيا وبين تربيته للحياة الآخرة.

ثانياً: التربية الإسلامية هي عملية "بناء الانسان بناء متكاملا متوازنا ومتطورا، من جميع الوجوه جسميا وعاطفيا وعقليا واجتماعيا وخلقيا وجماليا وانسانيا، كي يكون هذا الانسان بشخصيته المنسجمة لبنة حية فعالة في بناء مجتمعه"[1].

قد أجاد هذا التعريف في وصف التربية الإسلامية بأنها بناء الانسان بناء متكاملا، وفي الربط بين بناء الفرد وبناء المجتمع، غير أن التعريف لم يشر إلى الأسس والتعاليم الإسلامية لتربية الانسان، لهذا ينطبق هذا التعريف على أية عملية تربوية، إسلامية كانت أو غيرها.

ثالثاً: التربية الإسلامية هي: "منظومة متكاملة من نسق معرفي من المفاهيم، والعمليات، والأساليب، والقيم، والتنظيمات، التي يرتبط بعضها بالبعض الآخر في تآزر واتساق تقوم على التصور الإسلامي لله والكون والانسان والمجتمع وتسعى إلى تحقيق العبودية لله بتنمية شخصية الانسان بصفته فردا وجماعة من جوانبهما المختلفة، بما يتفق والمقاصد الكلية للشريعة التي تسعى لخير الانسان في الدنيا والآخرة"[2].

وهذا التعريف أشمل وأوسع مما سبق، وله مزايا، منها أنه أجاد في وصف التربية الإسلامية بأنها منظومة معرفية متشعبة ومتكاملة، وأن هذه المنظومة مبنية على التصور الإسلامي للوجود لها مفاهيمها وقيمها وأساليبها وغاياتها، وتجعل تحقيق العبودية لله تعالى غاية التربية الإسلامية. ومن مزاياه أيضا أنه ربط بين التربية ومقاصد الشريعة وهذا ما انفرد به صاحب هذا التعريف.

هذه بعض التعريفات الخاصة بالتربية الإسلامية، وهناك تعريفات أخرى عديدة لا نرى في ذكرها ضرورة، ومن خلال النظر إلى ما أوردناها من التعاريف تتبين لنا أمور بخصوص الفكر التربوي الإسلامي يمكن توضيحها فيما يأتي:

- إن التربية الإسلامية تقوم بإعداد الإنسان، ببناء شخصيته في جميع الجوانب المختلفة: الجسمية، العقلية، الاعتقادية الروحية الروحية الأخلاقية الاجتماعية النفسية في ضوء تعاليم الإسلام وقيمه وعلى وفق معايير القرآن الكريم.
- إعداد الانسان في التربية الإسلامية، يشمل الإعداد للحياتين، أي الدنيا والآخرة. فهي تربّي الانسان على تصور الإسلام لحياة الدنيا والآخرة، وتؤيده بالمعرفة التامة عن هاتين الحياتين ومصير الانسان، ليكون الانسان على علم وبصيرة بهما.
- إن التربية على وفق فلسفة التربية الإسلامية عملية غائية، تتطلع إلى تحقيق غايات منبثقة من الشريعة الإسلامية، من أجل تحقيق الغاية الكبرى من وجود الانسان التي هي العبودية التامة لله تعالى، تطبيقا لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات، 56).

المطلب الثاني

مفهوم فلسفة التربية الإسلامية ودورها في حماية المجتمع

لكل فكر أو نظام تربوي فلسفة تربوية، تمثل الإطار الكلي والمرجع الفكري لهذا النظام التربوي، وهي "تحتل المركز الأول في العملية التربوية"[3]، ومن هذه الفلسفة تنبثق سائر مكونات العملية التربوية الأخرى من: الرؤية والأهداف التربوية وقيمها ومناهجها وخصائصها وكل ما هو جزء من العملية التربوية. سبق أن تعرّفنا على مفهوم التربية الإسلامية من وجهة نظر الباحثين والتربويين، وهذا القدر لا يكفي لمعرفة ما تحمله التربية الإسلامية من الرسالة التربوية والاصلاحية والابداعية، لأن ما خفي وبقي أعظم. لذلك سيركّز البحث هنا على بلورة مفهوم معاصر عن فلسفة التربية الإسلامية وبيان أهميتها في تربية الفرد والمجتمع. ولعل ذلك يسهم في معالجة أزمة القيم المعاصرة في المجتمعات المسلمة.

في البداية يبدو من الضروري بيان المراد بفلسفة التربية الإسلامية حسبما عرّفها وذكرها التربويون وخبراء التربية، فقد تعددت التعريفات بصددها، ولكيلا يطول بنا الكلام لا نرى في ذكر هذه التعريفات حاجة ملحة، فنقتصر على ذكر ما قاله الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، إذ لم أجد أحسن مما قاله، فهو يذهب إلى أنه يقصد بفلسفة التربية الإسلامية: "نموذج الإنسان الذي تتطلع التربية الإسلامية إلى إخراجه، في ضوء علاقته بالخالق، والكون، والإنسان، والحياة، وما بعد الحياة"[4]. فالتربية الإسلامية تهدف إلى إعداد الانسان في كل جوانب شخصيته وإخراجه على النحو الذي يطلبه الإسلام الذي هو الانسان الصالح، وهو نموذج الانسان الذي تتطلع إليه التربية الإسلامية.

---

(1)محمود أحمد السيد، الكويت، معجزة الإسلام التربوية، دار البحوث العلمية، 1978 م، ص 29.
(2)سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، دار السلام، 2007 م، ص 32-33.
(3) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية (دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة)، دار الفتح، 2009 م، 31.
(4)المصدر السابق، ص 72.

وتحديد فلسفة تربوية على النحو الذي رسمه الكيلاني يعدُّ ذا أهمية كبيرة للفكر أو النظام التربوي الإسلامي الذي يتطلع إلى التقدم والإصلاح، وفي ضوء التعريف الذي مرّ ذكره، نستطيع القول بأن مضمون فلسفة التربية الإسلامية يتفق مع مضمون رسالة الإسلام الكلية، فتكون "فلسفة التربية الإسلامية جزء من فلسفة الإسلام الكلية عن الانسان والكون والحياة"[1].

بناء على ما سبق، تقوم فلسفة التربية الإسلامية بإرشاد الانسان وهدايته إلى بناء تصور كلي عن الوجود عن طريق ما منح الله الانسانَ من المعرفة الصحيحة اللازمة عن (الله تعالى، والكون، الانسان، والحياتين) كما يقول الله تعالى: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}(الإسراء، 9). وينبثق التصور الإسلامي لهذه المفاهيم الأربعة عن عقيدة التوحيد كجوهر الرسالات السماوية. ومعلوم أن للتصور الذي من خلاله ينظر كل دين وكل مذهب إلى الوجود أثرا عميقاً وقويا في جوانب الحياة التربوية، فلو فرضنا أنّ إنسانا يتصور أن الحياة مادية فقط وأنه ليس وراء هذه الحياة حياة أخرى، فهو يبني تفكيره وأخلاقه وسلوكه وحياته الاجتماعية على هذا الأساس... [2].

ومن هنا فإن بناء تربية إسلامية لابد أن يتجه أول ما يتجه إلى المقومات الأساسية للعقيدة الإسلامية من حيث تصورها لهذه الكليات الأساسية حتى يمكن أن تهتدي إلى صواب الاتجاه واستقامة الطريق فتحسن ما تربيه ومن تربيه[3].

فحسب نظرية التربية الإسلامية لا يمكن إخراج الفرد الصالح - الانسان الصالح حسب تعبير القرآن - إلا بتطبيق فلسفة التربية الإسلامية التي تقوم على الأساس الديني، فقضاياها "تدور أصلا على تحصيل تربية خاصة قوامها تعاليم الشرع الإلهي، والشرع الإلهي هو بالنسبة للعقل الإنساني كالأصل بالنسبة للفرع فيكون الشرع أولى بتأسيس العقل من أن يؤسس العقلُ الشرعَ"[4] وهذه المسألة هي جوهر الخلاف بين التربية الإسلامية والتربية الغربية، فهذه الأخيرة تقوم على تمجيد العقل وتقديمه على كل مصادر المعرفة بما فيها المعرفة الدينية وقد تصل إلى انكارها. أما الثانية (التربية الاسلامية) فهي تقوم على تعاليم الشرع الإلهي.

ومنذ عصر النهضة الأوروبية التي انتهى فيها صراع العلماء ورجال الدين المسيحي لصالح العلماء الطبعيين بانحسار دور الدين واستبعاده عن المؤسسات التربوية والتعليمية، منذ ذاك باتت تسيطر على روح التربية في العالم فلسفة التربية الغربية الحديثة المنقطعة عن الدين [5]. وبالنسبة للمجتمعات المسلمة قد أثرت هذه الفلسفة التربوية على النظم التعليمية والتربوية في العالم الإسلامي فقد تم استيراد الفكر التربوي الغربي وعممت نظرياتها وأساليبها ومناهجها وقيمها منذ أيام الاستعمار الغربي. كما يذهب الدكتور فتحي حسن ملكاوي المتخصص والباحث في التربية الإسلامية، إلى أنه "لا خلاف على أنَّ الواقع التربوي المعاصر في العالَم الإسلامي يتلوَّن بلون الفكر التربوي السائد في العالَم، ويغلب عليه الفكر الغربي بمفاهيمه ونظرياته وممارساته، والأهم من ذلك كله مرجعياته الفكرية. ولذلك، فإنَّ من المفيد التوسُّع في تحليل المرجعية الفلسفية والعملية للفكر التربوي الغربي السائد، حتى يُسهم ذلك في فهمنا لواقع الفكر التربوي المعاصر في العالَم الإسلامي، وفي بناء رؤيتنا لكيفية التعامل مع هذه المرجعية الغربية في سعينا لإصلاح واقعنا التربوي" [6].

واليوم غدت حاجة المجتمعات المسلمة ملحة أكثر من ذي قبل للتطلع إلى فلسفة تربوية إسلامية مستمدة من المرجعية الإسلامية، ترشد الانسان المسلم إلى الخروج من أزمته الأخلاقية والقيمية الراهنة، في ظل تهديدات العولمة الغربية، والتي أدّت إلى انحدار واختلال قيمي وأخلاقي على جميع الصعُد، من القيم العقدية، والاجتماعية، والأسرية، والأخلاقية.

فتفعيل فلسفة تربوية إسلامية في المؤسسات التعليمية والتربوية، وفي الأوساط الاجتماعية والدينية، تسهم في تحقيق الأمن الأخلاقي والتربوي، وتقوّي مناعة المجتمعات المسلمة ضدّ المخاطر التي تهدد قيمها وأخلاقها، وتجعلها قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة. وقد أرجع الدكتور الكيلاني (رحمه الله) ضرورة بلورة فلسفة تربوية إسلامية إلى أمرين اثنين:

---

(1)ماجد عرسان الكيلان (دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الاسلامية)، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن كثير، 1985 م، ص 25.

(2) ينظر: أصول التربية الإسلامية، ص 56.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 57.

(4)طه عبد الرحمن، جمع، من الانسان الابتر إلى الانسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والابداع، 2016 م، ص 26. يقول الراغب الأصفهاني في باب تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر "اعلم ان العقل لن يهتدي الا بالشرع، والشرع لا يتبين الا بالعقل، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن يغني اسٌّ ما لم يكن بناءٌ، ولن يثبت بناءٌ ما لم يكن اسٌ. وايضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر". تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) بيروت، دار مكتبة الحياة، 1983 م، ص 73.

(5) للاطلاع على الانحرافات التي أصابت التربية الحديثة داخل حدود الغرب وخارجه بعد النهضة الغربية، يمكن مراجعة كتاب (فلسفة التربية الإسلامية - دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة) للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، الباحث والمتخصص في التربية الإسلامية، وهو الكتاب الحائز عام 2008 م على جائزة الفارابي العالمية.

(6) الفكر التربوي الإسلامي، مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه، ص 531.

أولاً: "تقديم التربية الإسلامية كرسالة إصلاحية غايتها مواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر وتلبية حاجاته وتطلعاته.

ثانياً: إعداد المسلم المعاصر لدخول مُعترك الفكر التربوي العالمي الذي يبحث عن نظريات تربوية جديدة تخرجه من أزماته الإنسانية الراهنة وتساعده على المضي قدما في مسيرته"[1].

ويجب على الفلسفة التربوية الإسلامية، أن تضطلع بدور فعّال في تربية الانسان على القيم الإسلامية، وتحملَ على عاتقها بناء شخصية الفرد الإسلامية، وتنميتها، وحفظها، وكذلك بناء شخصية المجتمع الإسلامية وحفظها، عن طريق: تربية عقدية وعبادية شاملة تحدد علاقات الانسان بالخالق، والكون والانسان والحياة الدنيا والآخرة فكرا وممارسة وأيضا على أسسٍ معرفية: تمدّ الانسان بالمنهج الذي يرشده إلى الصراط المستقيم، وعلى منظومةٍ قيمية: تبصّر الانسان بالمعايير والضوابط التي يميّز بها بين الخير والشر والصواب والخطأ والحق والباطل والجميل والقبيح.

وفي الختام نستطيع القول بأن فلسفة التربية في الإسلام تقتضي أن تبدأ التربية ببناء القيم وغرسها وتنميتها في الإنسان فردا كان أو جماعة أو أمة، على وفق منهج تكاملي من العقيدة، والمعرفة، والعبادات، والقيم، بحيث تتشكل منها منظومة تربوية إسلامية، تبنى على: أساس عقدي جوهرها توحيد الله تعالى ثم يليها الاساس المعرفي الذي هو الوحي والعقل، والأساس التعبدي (العبادات)، لتعزيز الأساس العقيدي من التذكير بالله تعالى عن طريق العبادات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، ثم يأتي الأساس القيمي والأخلاقي.

ومعرفة هذه المنهجية التربوية الإسلامية وتفعيلها ضرورة عصرية ملحة، إذ تبصّر العاملين في ميدان التربية والتنمية في المجتمعات المسلمة بواجباتهم التربوية العصرية، وتسهل لهم عملية استلهام القيم واستنباطها من المرجعية الأصيلة التي هي دين الإسلام.

المطلب الثاني

دور التربية الإسلامية في حماية المجتمع من التهديدات القيمية

تحدثنا في المطلب السابق عن دور فلسفة التربية الإسلامية في حماية البنية القيمية، لكونها "تحتل المركز الأول في العملية التربوية"[2]. أما هذا المطلب فإنه يبحث عن دور عملية ومنهج التربية الإسلامية في حماية المجتمع من المخاطر القيمية [3]، إذ لا شك في أن التربية الإسلامية هي الوسيلة الفريدة التي يمتلكها المسلمون في العصر الحاضر لبناء جيل قادر على حفظ شخصيته وهويته الإسلامية والحضارية في هذا الوقت المضطرب المفتعل بالتجاذبات والصراعات الفكرية والثقافية.

ولمّا كانت المجتمعات المسلمة اليوم أمام تحديات التحولات الأخلاقية والقيمية التي أحدثت خلخلة وانحرافات في جلّ ميادين الحياة، نرى أن تربية إسلامية صحيحة على القيم الإسلامية تكون أحد الضمانات القوية لحماية الفرد والمجتمع من التحديات الأخلاقية السلبية التي تواجهه في العصر الحاضر.

سيتناول هذا المطلب الدور الذي تقدّمه التربية الإسلامية لحماية المجتمع المسلم من التهديدات القيمية والأخلاقية من خلال فرعين ، يتناول الفرع الأول: دور التربية الإسلامية في بناء جوانب شخصية الانسان المسلم ، ويتناول الفرع الثاني: دور التربية الإسلامية في بناء جوانب شخصية المجتمع المسلم. وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول

دور التربية الإسلامية في بناء جوانب شخص ية الفرد المسلم

إن أول ما تقوم به التربية الإسلامية هو: إعداد الإنسان (الانسان الصالح حسب تعبير القرآن الكريم) لحياتي الدنيا والآخرة بتربيته وتزكيته في جميع جوانب شخصيته: الجسمية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية، في ضوء تعاليم الإسلام وقيمه.

ولا شك أن أهمية التربية الإسلامية تعود إلى كونها وسيلة لبناء خير فرد، وخير مجتمع، وخير حضارة، والعلاقة بين هذه المستويات تكاملية، إذ يكون بناء خير فرد وسيلةً لبناء خير مجتمع، وبناء خير مجتمع يكون وسيلةً لبناء خير حضارة، و"ذلك لأن الأفراد كاللبنات، والبناء الاجتماعي مكّون من هذه اللبنات، فإذا أردنا أن نكوّن مجتمعا خيّرا فلابد من تكوين أفراد

(1) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية - دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة، ص 83.

(2) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 31.

(3) هناك فرق بين فلسفة التربية الإسلامية وبين التربية الإسلامية نفسها، هذه الثانية تؤسس على الأول، فما من عملية تربوية الا وتبنى على فلسفة تربوية، إذ لكل فكر أو نظام تربوي فلسفة تربوية، تمثل الإطار الكلي والمرجع الفكري لهذا النظام التربوي، وهي تحتل المركز الأول في العملية التربوية، ومن هذه الفلسفة تنبثق سائر مكونات العملية التربوية الأخرى من: الرؤية والأهداف التربوية وقيمها ومناهجها وخصائصها وكل ما هو جزء من العملية التربوية.

أخيار قبل ذلك"[1]. ومن حق كل مجتمع أن يسعى لإعداد أبنائه وأجياله على النحو الذي يحفظ له خصائصه وسماته الدينية، والثقافية، والاجتماعية الأصيلة. ووسيلة كل مجتمع في الوصول إلى هذه الغاية إنما هي التربية، لهذا ينبغي أن ينظر إلى التربية على أنها "القوة الاجتماعية الهائلة القادرة دائما على إحداث تغيرات بعيدة المدى في البناء الحضاري للمجتمع. هذا فضلا عن كونها قوة اقتصادية كبرى، بوصفها استثماراً لأغلى ما لدى الأمم من موارد وهي ثرواتها البشرية" [2].

فالحديث هنا بصدد تربية الفرد المسلم وبناء شخصيته بناء كاملا وشاملا، ليصل في ظلها إلى استقلالية تربوية وثقافية قادرة على الثبات أمام التحديات والمخاطر، حيث يواجه الفرد المسلم عديدا من التحديات المعاصرة، وعلى رأسها التحديات الأخلاقية والقيمية التي تعصف بالهوية الدينية والأخلاقية للفرد المسلم والتي تكاد تمحو معالم الشخصية الإسلامية لدى كثير من أبناء المسلمين ولاسيما الشباب المسلم، وهذه التحديات القيمية تستهدف في المقام الأول الشباب والشابات من المسلمين. فكل ذلك لابد أن يدفع بالمسلمين إلى أن يحسّوا بتلك المخاطر، وأن يكترثوا بالحلول التربوية أكثر من غيرها من المعالجات، وأن يصلحوا المثالب التربوية التي تعاني منها المؤسسات التربوية الإسلامية، والعودة إلى أصول التربية الإسلامية الأصيلة المستمدة من الشرع الإلهي، والتي طبقها الرسول (ﷺ) الذي أرسله الله إلى الخلق مربيّا ومعلّما، وقد قال الله تعالى بخصوصه: {لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} (آل عمران، 164)

وفي ظل ما أشرنا إليها من التحديات القيمية الراهنة التي تعاني منها المجتمعات المسلمة وحذرا من التحديات المستقبلية المتوقعة، فلو أرادت تلك المجتمعات الخروج من أزماتها الراهنة، وفي مقدمتها أزمة القيم، فعليها تفعيل دور التربية الإسلامية ومؤسساتها وأهدافها، وأن تجعلها طريقة تحصينها من كل ما يهدد هويتها الدينية والأخلاقية والاجتماعية إذ نرى أن نقطة انطلاق هذا العمل تبدأ بتربية الانسان المسلم تربية شاملة، لأنه كما قلنا آنفا "بناء خير فرد وسيلة لبناء خير مجتمع وبناء خير مجتمع وسيلة لبناء خير حضارة"[3]. فنبدأ هنا بتناول دور تربية الإسلام في بناء شخصية الفرد المسلم، وكيف يكون إعداده مَخلصا عن كثير من مظاهر الانحرافات الأخلاقية والقيمية المعاصرة، ثم نردفها بذكر دور التربية الإسلامية في بناء مجتمع مسلم حصين. وفيما يأتي نشير إلى أهم جوانب شخصية الفرد المسلم وبنائها من منظور التربية الإسلامية:

أولا : بناء الجانب العقدي للفرد المسلم: من منظور التربية الإسلامية يبدأ بناء شخصية الانسان المسلم من تأسيس الجانب الإيماني على أساس عقيدة التوحيد ومضامينه، ويتعامل مع هذه العقيدة - التوحيد - كأهم الركائز التي تعتمد عليها التربية الإسلامية في عملية تكوين شخصية الانسان وتربيته.

فلذلك يرى خبراء التربية الإسلامية أن التربية "لا يمكن أن تكون إسلامية إلا إذا قام بنيانها على العقيدة الإسلامية بحيث تسهم بشكل رئيس في تشكيل مفاهيم هذه التربية وتكوين اتجاهاتها، وأن تتخذ من العقيدة كذلك إطاراً مرجعيا لها في جميع نشاطاتها وتطبيقاتها فهذا مقتضى كون العقيدة الإسلامية أساسا للتربية"[4].

وهذه العقيدة لو تربى عليها الانسان لا شك أنها "تحدث في النفس البشرية مجموعة من القيم، تتضمن تصورًا شاملا للدنيا والآخرة والحياة والموت، ويتسع هذا التصور ليدخل فيه أنواع النشاط الإنساني وتحديد العلاقات"[5] وتأسيسا على هذا، نستطيع القول بأن منظومة القيم العقدية هي أقوى ما تأثّر على تفكير الأفراد وسلوكهم.

ولما كانت المجتمعات المسلمة اليوم أمام تحديات العولمة التي أحدثت خلخلة وانحرافات في واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، نرى أن تربية إيمانية صحيحة على قيمة التوحيد الخالص تكون أحد الضمانات القوية لحماية الفرد والمجتمع من التهديدات القيمية، وذلك لأن المبادئ التي يحملها الفرد إن كانت مستلهمة من عمق ومصدر إلهي مقدس من الدين، فإنه لا شك مشاعر هذا الانسان وصلته بتلك المبادئ تكون أقوى، وممارساته إياها فكريا وعمليا تندفع من أحاسيس أعمق تأثرا بالإيمان الذي يحمله الانسان بداخله.

فضلا عن هذا فإن قاعدة القيم كلها بالنسبة للإنسان المسلم سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية أو أسرية ترجع إلى أصل إيماني واحد الذي هو التوحيد، كما يقول أحد الباحثين (الملكاوي) قيمة التوحيد هو "الأساس الأول في منظومة القيم العليا"[6].

---

(1) مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، 1983 م، ص 32.
(2) إبراهيم عصمت مطاوع، التخطيط للتعليم العالي، النهضة المصرية، 1973 م، ص 27. نقلا عن: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، د. سعيد إسماعيل القاضي، دار الكتاب، 2004 م، ص 117.
(3) مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق، 1983 م، ص 32.
(4) عدنان مصطفى إبراهيم، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، أطروحة الدكتوراه، إعداد: ، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، سنة 2006 م، ص 60.
(5) إبراهيم أبو محمد، منظومة القيم ودورها في التجديد والنهضة، دار العواصم، 2009 م، ص 28.
(6) منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، ص 21.

فتكون القيم الإسلامية بكاملها ما أشرنا إليها وما لم نشر تكون متولدة من رحم تلك العقيدة وصادرة عنها. فانعكاسات هذا التوحيد ومضامينه لابد أن تظهر على شخصية الانسان المسلم بكل جوانبه. ولو كان الفكر التربوي الإسلامي العقدي حاضرا بشكل فعال في المؤسسات التربوية بفلسفتها وأهدافها ومناهجها في المؤسسات التربية لما استطاعت العولمة والقوى الثقافية الغربية المهيمنة اختراق الفكر الديني للفرد المسلم على النحو الذي نراه اليوم.

ثانيا: بناء الجانب الأخلاقي للفرد المسلم: الإعداد الأخلاقي هو جانب آخر من بين جوانب شخصية الفرد المسلم التي تتوخى التربية الإسلامية بناءها وتنميتها. ولدى التربويين "يعد تهذيب الخلق وتربية الروح من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية"[1]. ولأهمية هذا الجانب في بناء الشخصية المسلمة "نجد الحق سبحانه وتعالى يمتدح رسوله الكريم بهذه الميزة ميزة الأخلاق على الرغم من وجود مزايا عديدة في شخصيته"[2] (ﷺ)، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} (سورة القلم، الآية 4). كما نستشفّ من حديث رسول (ﷺ): الذي يقول فيه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله (صلَّى اللَّهُ عليه وَسلمَ): ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))[3]، أن تربية الجانب الأخلاقي من مهمات المرسلين جميعا (عليهم الصلاة والسلام).

والقيم الأخلاقية التي تتوخّى التربية الإسلامية أن يربى عليها الفردَ المسلمَ وتنمّيها في شخصيته كثيرة ومتعددة، فإذا نظرنا إليها نجدها شاملة لجميع جوانب كينونة الانسان من الظاهر، والباطن، والعواطف، والجوارح، فنجد أن لكل مكون من مكونات الانسان المسلم حظاً من القيم الإسلامية. وكذلك نجد شمول الأخلاق الإسلامية في تعلقها بشبكة علاقة الانسان المسلم بكاملها، منها: علاقة الانسان الأخلاقية بالله تعالى، وعلاقة الانسان الأخلاقية بنفسه، وعلاقته الأخلاقية بأخيه الانسان، وعلاقته الأخلاقية بعالم الحيوانات وعلاقته الأخلاقية بجميع مرافق الكون هكذا يوسّع الإسلام دائرة العلاقات الأخلاقية في الانسان.

ويعود اهتمام التربية الإسلامية بتربية الجانب الأخلاقي للفرد المسلم بهذا الشكل الواسع للدور الذي يجده للأخلاق في بناء الشخصية الإسلامية المطلوبة لإخراج الانسان الصالح الذي هو "نموذج الإنسان الذي تتطلع التربية الإسلامية إلى إخراجه"[4]. الذي يستحيل على التربية إيجاده من دون اعتمادها على أصول ومرتكزات أخلاقية ثابتة.

وفضلا عن هذا، فإن الفرد المسلم لو نما وترعرع على قواعد تربوية أخلاقية، في ظل القيم الإسلامية الثابتة المستمدة من الشرع الإلهي، يكون قادرا على حماية نفسه ومجتمعه من كل تهديد أو تحد قيمي وأخلاقي يواجهه، لذلك نرى أن بناء الجانب الأخلاقي لشخصية المسلم المعاصر يكون أحد الضمانات التربوية - بعد التربية العقدية - لحماية الفرد والمجتمع من المشكلات والانحرافات الاخلاقية التي تعاني منها المجتمعات المسلمة [5].

ثالثا: بناء الجانب الاجتماعي: يعد الجانب الاجتماعي أحد المكوّنات الرئيسية لشخصية الانسان، لهذا تهتم التربية الإسلامية اهتماما بالغا ببناء هذا الجانب لشخصية الفرد المسلم، وذلك في ضوء منظومة من القيم الدينية الاجتماعية الثابتة. ومن منظور التربية الإسلامية تعدُّ هذه العملية "من أخطر وأدق العمليات التي يمرّ بها الفرد، لأنها القاعدة التي يرتكز عليها بناء الشخصية"[6].

هذا وإن الانسان من منظور التربية الإسلامية لا ينظر إليه بمعزل عن محيطه الاجتماعي، وإنما يتعامل معه بوصفه جزءاً من المجتمع، ويتضح هذا عندما نتأمل في القيم الاجتماعية التي تتوخى الشريعة الإسلامية غرسَها في نفوس المسلمين. وإن القيم الاجتماعية في دين الإسلام كثيرة وشاملة لكل جوانب الحياة، يتعذر استعراضها كاملة هنا لأنه يطول بنا الكلام لو أشرنا إلى تفاصيلها، وهنا نكتفي بذكر أهم تلك القيم التي لا يمكن أن تخلو منها الشخصية الإسلامية، ومن أهمها: قيمة العدالة والمساواة والحرية والعفة والرحمة والأخوة والتسامح والتعاون والأمانة والوحدة والاحسان، والصدق والكرامة والاحترام والحياء والوفاء والمحبة. هذه جزء يسير من منظومة واسعة من القيم الاجتماعية التي تربي شريعة الإسلام الأفراد عليها [7].

---

(1) مصطفى محمود متولي، مدخل إلى تأريخ التربية الإسلامية، دار الخريجي، 2004 م، ص 142.

(2) مدخل إلى التربية الإسلامية، ص 228.

(3) رواه أحمد، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) تحقيق: محقق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، 1994م، كتاب علامات النبوة، باب حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، رقم الحديث (14188)، ج9/ ص 15.

(4) فلسفة التربية الإسلامية (دراسة مقارنة بالفلسفات التربوية المعاصرة)، ص 72.

(5) وللاطلاع على مزيد حول أهمية التربية الأخلاقية الإسلامية، للمفكر التربوي الإسلامي الدكتور مقداد يالجن.

(6) أساليب التنشئة الاجتماعية وفق الشريعة الإسلامية ودورها في اكتساب القيم الأخلاقية للأبناء، (عمر مفتاح سالم، د. أشرف محمد زيدان، د. فخر الادب بن عبد القادر) مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية (المجلة 4، العدد 3، يوليو 2018 م) ص 259.

(7) ولعلّ صاحب كتاب دستور الأخلاق للدكتور محمد عبد الله دراز خير من فصّل في مسألة الاخلاق الاجتماعية، فذكر الأخلاق الاجتماعية من خلال القرآن الكريم، بعضها أمور منهيات لا يجوز ارتكابها، وبعضها أوامر يجب الالتزام بها، وبعضها ضوابط وقواعد يجب مراعاتها.

وفيما يخص بالتحديات المعاصرة التي تواجه الفردَ في المجتمعات المسلمة في مجال القيم الاجتماعية، فإنه لا شك أن الفرد المسلم بات يعاني من ضعف أو ضياع كثير من القيم الاجتماعية الإسلامية، لأن المجتمعات المسلمة وعلى غرار المجتمعات المعاصرة كافة شهدت تغيرات كبيرة في ظل التحولات الحضارية والثقافية المعاصرة، وأدّت كل هذه التغيرات بدورها إلى ظهور انحرافات في الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية بين المسلمين. ومن جهة أخرى فإن طروحات ومبادرات الأنظمة والمؤسسات العلمانية في المجتمعات المسلمة لا تخلو من تشجيع الافراد على رفع كثير من القيود الاجتماعية لنقله من مجتمع متمسك بالقيم الدينية إلى مجتمع حداثي بالمعنى الغربي الذي لا دور للدين فيه في المسائل الاجتماعية والثقافية والفكرية.

لكن من خلال تحقيق تربية شاملة في ضوء منظومة القيم الاجتماعية الإسلامية وغرسها في شخصية الفرد المسلم تتحقق للفرد المسلم حصانة تربوية ذاتية تقي الفرد والمجتمع من التهديدات التي تشكلها العولمة على القيم الاجتماعية.

الفرع الثاني

دور التربية الإسلامية في بناء جوانب شخصية المجتمع المسلم

كما أن التربية الإسلامية تسعى إلى بناء شخصية الفرد المسلم وتنميتها، عن طريق تربية شاملة لمختلف جوانبها، على عقيدة صحيحة موجّهة، وأصول أخلاقية ضابطة - كما ذكر في الفرع الأول - كذلك تقوم التربية الإسلامية ببناء المجتمع المسلم وإعداده في عدة جوانب مختلفة، على أصول عقدية، وتشريعية، وأخلاقية ثابتة. وفي هذا الفرع نتناول دور التربية الإسلامية في بناء المجتمع السلم وتكوين شخصيته في: الجانب العقدي والجانب العبادي والجانب الأخلاقي كثلاثة من أهم الجوانب الرئيسة التي يجب على التربية الإسلامية أن تربّي عليها المجتمعَ المسلم. كما سنشير إلى دورها في تحصين المجتمع من التحديات القيمية والأخلاقية الراهنة.

أولا: بناء الجانب الإيماني: يعد الفكر العقدي من أهم مكونات شخصية المجتمع المسلم، بل هو "أول أساس يقوم عليه المجتمع المسلم ويقوم به"[1] لما له من التأثير الكبير على بقية الجوانب الأخرى، لهذا نرى أن المحرّك الأساسي الذي يحدد الأنشطة البشرية وأهدافها هو الدافع الفكري والعقدي الذي يحمله الانسان. وحيثما تربّى المجتمع على منظومة عقدية إسلامية صحيحة، فإن طبيعة هذا المجتمع ومظاهره تكون على شاكلة عقيدته وقيمه.

والمتتبع لحياة الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) الذين قصَّ الله تعالى قصصهم في القرآن الكريم، يرى بوضوح اهتماما شديدا وعناية فائقة بتربية المجتمع على القيم العقدية على أساس التوحيد ومضامينه، وأنهم بدؤوا بإصلاح مجتمعاتهم بتربيتها على القيم الايمانية الصحيحة. فالمسلمون مجتمعاً أو أمةً لا يصلون إلى خاصية الخيرية التي هي من أخص خصائص الأمة المسلمة، إلا عن طريق الإيمان: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ} (آل عمران،110)، فتحقيق هذه الخيرية مشروط بشروط، ومنها تحقق الايمان {وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ}.

ودور التربية الإسلامية بهذا الصدد هو أن تهتم بتكوين المجتمع المسلم اهتماما كبيرا، وأن تتخذ من العقيدة وسيلة لتعزيز الروابط الاجتماعية في المجتمع، وربط العناصر المختلفة بعضها مع بعض، وبث روح الأخوة والتآلف، وتنمية ثقافة الوحدة والتماسك الاجتماعي. فتربية المجتمع على هذه القيم التي تقتضيها عقيدة التوحيد، تعطي المجتمعَ قوة وحصانة معنوية تقيه من المخاطر القيمية والأخلاقية التي تواجه المسلمين بفعل العولمة في ظل التغيرات المعاصرة، لا سيّما ظاهرة الإلحاد واللادينيّة التي أخذت بالانتشار السريع في الوقت الحاضر في المجتمعات المسلمة، والّتي يتمّ الترويج لها بوسائل مختلفة، فهناك مؤسّساتٌ تعمل بشكل مكثف على نشر هذه الظاهرة، من خلال إنشاء مواقع إلكترونيّةٍ وبرنامج تلفازيّةٍ، ومقاطع فديوية تنشر في الإنترنت، وتأليف الكتب وإصدار المنشورات.

ثانيا: بناء الجانب العبادي: والمقوم الثاني للمجتمع المسلم بعد العقيدة، الذي يُتربّى عليها الفرد والمجتمع، هو الشعائر والعبادات التي فرضها الله على المسلمين، وكلّفهم بها، ليتقرّبوا بها إليه [2] والعبادة في الإسلام هي الغاية الكبرى التي خلق الله تعالى الانسانَ من أجلها، كما قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}(الذاريات، 56) وهو مكلّف بها طوال حياته حتى يأتيه الموت {وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ}(الحجر، 99).

والعبادة في الإسلام له دائرة واسعة، تسع الدين كله، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في تعريفها "العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة"[3]. فهي بهذا المعنى تشمل الفرائضَ والشعائرَ من الصلاة والصيامِ والزكاةِ والحجِ وتشمل غيرها من

(1) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص 9.
(2) ينظر: يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص 46.
(3)ابن تيمية الحراني الدمشقي، العبودية، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥م، ص 44.

جميع ألوان التعبد، وتشمل أيضا الأمور الأخلاقية. فليست العبادة قاصرة على الشعائر الأربعة كما يتبادر إلى ذهن كثير من المسلمين [1]، بل هي كما يقول الشيخ ابن عاشور (رحمه الله): "تشمل الامتثالَ لأحكام الشريعة كلّها"[2].

وتعود أهمية التربية العبادية للمجتمع وضرورتها، إلى ما يُتصور من تلك العبادات من المقاصد والتجليات التربوية الكبيرة في كل المجالات التي تشملها العبادة، ولو أخذنا من بين جميع العبادات شعيرة الصلاة بوصفها الشعيرة الأولى من بين منظومة الشعائر الإسلامية، نجد أن لها انعكاسات ومردودات تربوية اجتماعية كبيرة. وتظهر انعكاساتها التربوية على المجتمع في دور الصلاة البارز في تمتين العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين المسلمين، من خلال تشريع الإسلام للصلوات الجامعة، منها صلاة الجماعة خمس مرات يوميا، وصلاة الجمعة مرة واحدة كل أسبوع مع خطبتها، وصلاة العيدين مع خطبتيهما مرتين في السنة، وصلاة التراويح في ليالي رمضان، وصلوات أخرى تقام في بعض المناسبات الخاصة والمعينة "والمتأمل في طبيعتها وأهدافها وخصائصها ووظائفها الروحية والاجتماعية والسلوكية والتربوية والمعرفية والنفسية... سيجد أنها لا تكتفي فقط بربط صلة المسلم بالله سبحانه وتعالى، ولكن تتعدى ذلك إلى تأثير عميق في علاقة المسلم بغيره من المسلمين وغيرهم، وحتى بالمحيط الاجتماعي والكوني العام.

فحينما يقول الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ} (العنكبوت، 45) فإن هذا التوجيه الإلهي يؤكد على الوظائف الاجتماعية الخاصة للصلاة. وهذا يعني أن للصلاة دوراً مهمًّا جدًّا في تربية الفرد والمجتمع، وتنمية الحس الإصلاحي والخيري لدى المسلم، وتشكيل ثقافة النهي عن الفحشاء والمنكر. وهذا البعد التربوي للصلاة يبين لنا امتداد التأثيرات العميقة للصلاة لتمسّ جوانب أساسية عديدة في حياة الإنسان الفردية والجماعية"[3]

مثل هذه الآثار التربوية الاجتماعية ليست قاصرة على عبادة الصلاة وحدها، ولا قاصرة على الشعائر المعروفة فقط، بل كل العبادات الإسلامية بفروضها، ونوافلها، تنعكس وبشكل كبير على تربية المجتمع. لذلك جعلت التربيةُ الإسلامية العبادةَ القاعدةَ الثانية بعد القاعدة العقدية، لتربية المجتمع المسلم.

ثالثا: بناء الجانب الأخلاقي: كما يقوم المجتمع المسلم على منظومة عقدية وعبادية، كذلك يقوم المجتمع المسلم المنشود على منظومة من القيم والأخلاق والفضائل التي يؤمن بها المسلمون، والتي لا يستقرّ كيان المجتمع بدونها لكونها تضبط سلوك المجتمع وتحميه من الانحرافات.

فالتربية الإسلامية تربي المجتمع المسلم على أصول وكليات أخلاقية ثابتة، وزّعت على جميع الميادين المختلفة لنشاطات الانسان. فهناك أصول أخلاقية اقتصادية، ترشد الانسان الى أن يتعامل مع المال تعاملا صحيحا كسبا كان أو إنفاقا، كحرمة الغش والتحايل في الكسب، والاسراف والتبذير في الانفاق. وهناك أصول أخلاقية توجّه الانسان الى العمل السياسي، كوجوب الحكم بالعدل بين الناس. والجانب الاجتماعي أيضا محكوم بأصوله الأخلاقية كالإحسان والأخوة والتعايش والتسامح وغير ذلك من جوانب شخصية المجتمع التي تضبطها التربية الإسلامية بالقيم والأخلاق الفاضلة. كما يقول الشيخ يوسف القرضاوي (رحمه الله): "فلا انفصال في هذا المجتمع بين العلم والأخلاق ولا بين الفنّ والأخلاق ولا بين الاقتصاد والأخلاق ولا بين السياسة والأخلاق ولا بين الحرب والأخلاق، وإنما الأخلاق عنصر يهيمن على كل شؤن الحياة وتصرفاتها، صغيرها وكبيرها فرديها وجماعيها"[4].

ونظرا لصلة الاخلاق القوية ومصاحبتها لجميع أنشطة الانسان في المجتمع، نستطيع أن نقول بأن "المجتمع المسلم - ولا شك - مجتمع أخلاقي بكل ما تحمله كلمة الاخلاق من شمول وسعة... هو مجتمع تحكمه فضائل ومُثُل عليا، يلتزم بها، ويتقيد بحدودها مهما يكلفه ذلك من مشقات وتضحيات... "[5].

ومهمة التربية الإسلامية تجاه المجتمع المسلم في جانبه الأخلاقي، أمام التحديات القيمية المتعددة في ظل هيمنة العولمة والحداثة الغربيتين، هي توجيه المجتمع وتنشئته تنشئة أخلاقية من خلال توظيف المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية، وتفعيل دورها التربوي من المساجد والمراكز الدينية والمدارس الإسلامية والعامة والكليات ومؤسسة الأسرة ومنظمات المجتمع المدني التثقيفية والمؤسسات الإعلامية التربوية.

النتائج

(1) ينظر: يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة الوهبة، 1995 م، ص 50-52.
(2) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م، ج 1/ ص 180.
(3) زكية برغوث، المضامين التربوية في المقاصد العامة للصلاة، مجلة الكلمة.
(4) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص 99.
(5) المصدر السابق، ص 99.

وفي النهاية توصلت الدراسة إلى نتائج، وهي كالآتي:

1- إن التربية الإسلامية تتطلع إلى إعداد الإنسان وتربيته في جميع الجوانب المختلفة: الجسمية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية في ضوء تعاليم الإسلام وقيمه وعلى وفق معايير القرآن الكريم.
2- تعدُّ التربية الإسلامية المنبثقة عن الإسلام، الوسيلة الأقوى التي يمتلكها المسلمون في الوقت الحاضر لحماية قيمهم المعرضة للخطر وباستطاعتهم أن يوظّفوها لتنشئة الأفراد وتوعيتهم وإعدادهم إعدادا شاملا من جميع مجالات الحياة.
3- تقوم فلسفة التربية الإسلامية بترشيد الانسان وهدايته إلى بناء تصور كلي عن الوجود عن طريق ما منح الله الانسانَ من المعرفة الصحيحة اللازمة عن الله تعالى والكون الانسان والحياتين.
4- تفعيل فلسفة تربوية إسلامية في المؤسسات التعليمية والتربوية، وفي الأوساط الاجتماعية والدينية، تسهم في تحقيق الامن القيمي والتربوي وتقوّي مناعة المجتمعات المسلمة ضدّ المخاطر التي تهدد قيمها وأخلاقها، وتجعلها قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة.
5- كما أن التربية الإسلامية تسعى إلى بناء شخصية الفرد المسلم على عقيدة صحيحة موجّهة وأصول أخلاقية ضابطة كذلك تقوم التربية الإسلامية ببناء شخصية المجتمع المسلم وإعداده في عدة جوانب مختلفة على أصول عقدية تشريعية وأخلاقية تكاملية.

المصادر والمراجع

1. عدنان مصطفى إبراهيم، الأساس العقدي للتربية الإسلامية، أطروحة الدكتوراه، إعداد: جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، سنة 2006 م.
2. عمر مفتاح سالم، أساليب التنشئة الاجتماعية وفق الشريعة الإسلامية ودورها في اكتساب القيم الأخلاقية للأبناء، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلة 4، العدد 3، يوليو 2018 م.
3. سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، ط 2، مصر، القاهرة، دار السلام، 2007 م.
4. محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
5. إبراهيم عصمت مطاوع، التخطيط للتعليم العالي، القاهرة، النهضة المصرية، 1973 م.
6. فتحي حسن ملكاوي، التراث التربوي الإسلامي، حالة البحث فيه ولمحات من تطوره وقطوف من نصوصه ومدارسه، عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2018 م.
7. سعيد إسماعيل القاضي، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ط 1، القاهرة، دار الكتاب، 2004 م.
8. ماجد عرسان الكيلان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، (دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الاسلامية)، ط 2، دمشق، دار ابن كثير، 1985 م.
9. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1983 م.
10. مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ط 1، القاهرة، دار الشروق، 1983 م.
11. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ط 24، القاهرة، مكتبة الوهبة، 1995 م.
12. ابن تيمية الحراني الدمشقي، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط 7، بيروت، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥م.
13. فتحي حسن ملكاوي، الفكر التربوي الإسلامي، مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية، فرجينيا، 2020 م.
14. أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محقق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، 1994م.
15. عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر الغامدي، مدخل إلى التربية الإسلامية، الرياض، دار الخريجي، 1418 هـ، ص 7.
16. مصطفى محمود متولي، مدخل إلى تأريخ التربية الإسلامية، ط 3، رياض، دار الخريجي، 2004 م، ص 142.
17. زكية برغوث، المضامين التربوية في المقاصد العامة للصلاة، مجلة الكلمة.
18. مقداد يالجن، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، الرياض، دار الكتب، 1411 هـ، ص 74.
19. محمود أحمد السيد، معجزة الإسلام التربوية، الكويت، دار البحوث العلمية، 1978 م، ص 29.
20. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص 99.
21. طه عبد الرحمن، من الانسان الابتر إلى الانسان الكوثر، ط 2، بيروت، المؤسسة العربية للفكر والابداع، 2016 م

22. إبراهيم أبو محمد، منظومة القيم ودورهـا في التجـديد والنهضـة، ط 1، القاهرة، دار العواصم، 2009 م.

Sources and references

1. An introduction to Islamic education, dr. Abd al-Rahman bin Abd al-Khaleq bin Hajar al-Ghamdi, Riyadh, Dar al-Khuraiji, 1418 AH.
2. From the amputee to the Kawthar man, d. Taha Abdel Rahman, compiled and presented by: Dr. Radwan Marhoum, 2nd edition, Beirut, The Arab Foundation for Thought and Creativity, 2016.
3. Introduction to the history of Islamic education, dr. Mustafa Mahmoud Metwally, 3rd edition, Riyadh, Dar Al-Khuraiji, 2004.
4. Islamic education between originality and modernity, dr. Said Ismail Al-Qadi, 1st edition, Cairo, Dar Al-Kitab, 2004.
5. Islamic educational heritage, Fathi Hassan Malkawi. Amman, International Institute of Islamic Thought, 2018.
6. Islamic educational thought, its concepts, sources, characteristics and ways to reform it, dr. Fathi Hassan Malkawi, 1st Edition, International Institute of Islamic Thought, United States of America, Virginia, 2020.
7. Liberation and Enlightenment, Muhammad al-Taher bin Ashour al-Tunisi, Tunisia, the Tunisian Publishing House, 1984.
8. Methods of socialization according to Islamic law and its role in acquiring moral values for children, Omar Muftah Salem, dr. Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Research, Journal 4, Issue 3, July 2018.
9. Milestones of building the theory of Islamic education, Miqdad Yalgin, Riyadh, Dar al-Kutub, 1411 AH.
10. Philosophy of Islamic education - a comparative study with contemporary educational philosophies, dr. Majid Arsan Al-Kilani.
11. Planning for Higher Education, Ibrahim Ismat Mutawa, Cairo, The Egyptian Renaissance, 1973.
12. Slavery, Ibn Taymiyyah al-Harani al-Dimashqi, investigation: Muhammad Zuhair al-Shawish, 7th edition, Beirut, The Islamic Office, 2005.
13. The Doctrinal Basis of Islamic Education, PhD thesis, prepared by: Adnan Mustafa Ibrahim, Yarmouk University, Faculty of Sharia, Department of Islamic Studies, in 2006.
14. The Educational Implications of the General Purposes of Prayer, Zakia Barghout, Al-Kalima Magazine.
15. The Educational Miracle of Islam, Mahmoud Ahmed Al-Sayed, Kuwait, Scientific Research House, 1978.
16. The evolution of the concept of Islamic educational theory, dr. Majid Irsan Al-Kilan (A systematic study of the historical origins of Islamic education), 2nd edition, Damascus, Dar Ibn Katheer, 1985.
17. The Fundamentals of Islamic Education, dr. Saeed Ismail Ali, 2nd Edition, Egypt, Cairo, Dar Al-Salam, 2007.
18. The role of Islamic moral education in building the individual, society and human civilization, dr. Mekdad Yalgen, 1st edition, Cairo, Dar Al-Shorouk, 1983.
19. The system of intentional values and their educational manifestations, dr. Fathi Hassan Malkawi.

20. The value system and its role in renewal and renaissance, dr. Ibrahim Abu Muhammad, 1st edition, Cairo, Dar Al-Awasim, 2009.
21. Worship in Islam, dr. Yusuf al-Qaradawi, 24th Edition, Cairo, Al-Wahba Bookshop, 1995.